مناقشة مع فيلسوف "السيادة الخالية" وموضوعات إحسان عبد القدوس الاستسلامية

في مقدمة الحملة التي تشنها وتسير فيها شلة من الاقلام المصرية ، المسؤولة منها واللامسؤولة ، يقف اليوم احسان عبدالقدوس رئيس تحرير صحيفة « اخبار اليوم » القاهرية ككاتب وجد من مهماته وواجباته أللحة أن يدلي بدلوه في قضية تعتبر من اخطر القضايا التي ستترك حتما مؤثرات سياسية واقتصادية على المنطقة العربية باسرها وهدف الاستاذ احسان هو « التخريب » لا غير .

ولكون القضية مجال البحث لا تتعلق فقط بخروج او بقاء الخبراء السوفيات وانما هي في حقيقتها وجوهرها تتصل بحركة الثورة العربية وتمس تقدمها واستمرارها او تراجعها وانتكاستها .

فان اية محاولة طائشة لاخراج النقاش وتناول لقضية ووضعها في غير مكانها . يكون الهدف منها هو التآمر والتخريب . وهذا ما سلكه الاستاذ احسان .

واحسان عبدالقدوس في مواقفه الجديدة حدد موقعه النهائي بجانب القوى اليمينية والتزم بها بكل ما طرحه سواء على صعيد الصراع الداخلي المصري او العربي وحدد انتماءه النهائي الى جانب القوى المعادية لحركة التحرر العربية والعالمية . وقد اعطت التغيرات في مجرى الاحداث الداخلية المصرية المجال للاستاذ احسان لان يصب كل نتاجه في خدمة « التيار التضليلي » الهادف حتما الى تبني الحلول السياسية التصفوية والاستسلام المهين الذي تنادي به امريكا .. ويحاول الاستاذ احسان ان يوجد الظروف ويهيء الاجواء من اجل تقبل ما تقدمه امريكا والرجعية العربية .

ان مناقشة مجموعة المقالات التي كتبها احسان عبدالقدوس تكشف شيئا واحدا هو ان هذه المقالات هي محاولة تخريب العلاقات القائمة والتي اصبحت ملحة وضرورية بين حركة التحرر العربية والقوى الاشتراكية العالمية وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي . في ظل هذه الظروف التي تزداد فيها حاجة الجماهير العربية لتاكيد التحامها بحركة الثورة العالمية .

لكن الاستاذ عبدالقدوس لا يرى في فهمه لمبدأ العلاقات بين الدول الا نمطا واحدا هو الاتفاق على تبادل المصالح الذاتية والضيقة خاصة بين الدول المتنمية والدول غير المتنمية . وهنا فانه يضع مبدأ العلاقات بين الدول في اوهى اشكالها ..

فحينما ينظر عبدالقدوس هذه النظرة ويريد تركيبها على مبدأ العلاقات بين الاتحاد السوفياتي ومصر ، فانه يتناسى بشكل متعمد مبدأ « ثورية العلاقات ومبدئيتها » التي تربط بين مواقف الدول ذات الانظمة الوطنية وتحدد سياستها ضد القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية العالمية ..

فالاتحاد السوفياتي يرتبط بكافة الشعوب المناضلة ويتحمل مسؤوليته عبر النضال ضد قوى الاستغلال العالمي الذي تواجهه الشعوب المضطهدة والمستقلة . الا ان الاستاذ احسان يريد فقط ان يربط مبدأ العلاقات بين الاتحاد السوفياتي ومصر من خلال تبادل المصالح الذاتية المباشرة ويفرغ هذه العلاقات من اي مضمون تحرري ووطني واضح ومحدد ، ومن مضمون المصالح المشتركة الواسعة في محاربة الامبريالية .

والاستاذ احسان عبدالقدوس ينتقد الاتحاد السوفياتي لانه لم يقدم السلاح المطلوب من اجل المعركة والتحرير .

ونحن نقول للاستاذ احسان ان نضال الشعوب والحرب لا تحتاج فقط للسلاح ، بل انها تحتاج الى قيادة قادرة على التخطيط وقيادة فاعلة . ليس فقط هذا ، وانما قيادة تؤمن باستغلال نقاط الضعف عند العدو وتعبئة نقاط القوة عندنا ومن خلال اتباع اسلوب حرب الشعب التي تؤكد كل الحسابات انها حرب في صالحنا . الا انك وفي كل ما تطرحه وتطالب به هو السلاح وتعتبر ان السلاح كل شيء .. في نفس الوقت الذي تقول فيه ان مصر تريد السلاح من اجل ان لا يطول عمر الحرب وتخسر مصر فيها كل شبابها .

وبالاضافة الى كون هذا الكلام يتجاهل حقائق تاريخية . فانه يتجاهل حقيقة كون الامبريالية والرجعية العربية والصهيونية هي ادوات الارهاب والاستغلال للقوى الانسانية الاخرى وليس من سبيل لمواجهتها الا بالنضال والقتال الثوري ، القتال الطويل المدى .. ويتجاهل ايضا حقيقة الدفع الثوري الذي يمثله وجود الجماهير في المعركة التي تعتبر الفصل اسلحة المعارك والفصل من يحقق النصر في حروب الشعوب .

والسؤال : من الذي يقاتل اليوم في فيتنام وكمبوديا ولاوس ؟ وفي سياق حديثه يسترسل ليقول ان الاتحاد السوفياتي لم يزودنا بالسلاح الذي نستطيع به مواجهة السلاح الامريكي لدى اسرائيل وفي نفس الوقت لا يذكر ما هو السلاح المطلوب ولكن الاعتقاد السائد ان ما يقصده هو الطائرات ولكن اذا كان الاتحاد السوفياتي « لا يملك طائرة توازي في قدرتها القتالية والاستراتيجية طائرة الفانتوم الامريكية » حسب معلومات الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل (استاذ عبدالقدوس في حملته الراهنة) فماذا تطلب بعد ذلك ؟

وايضا لماذا لم تتنزع مصر والانظمة العربية الاخرى النصر حينما كانت اسرائيل لا تملك مثل هذه الطائرات التي لا تخيف الا امثالك انت وهيكل ؟ ولماذا لم تحقق الانظمة العربية النصر حينما كانت تملك السلاح بكميات هائلة .. لماذا ؟

لماذا تقاتل الشعوب المناضلة بلا طائرات من احدث طراز ان حجم السلاح بدعة واهية اسقطتها الشعوب التي انتصرت وتسقطها اليوم الشعوب المناضلة في حربها العادلة ضد القوى الامبريالية في العالم .

ويتساءل الاستاذ عبدالقدوس لماذا نرفض الحلول المقدمة لنا من امريكا ؟ وهل نرفضها لانها فقط من امريكا ؟ ولماذا يؤثر تحرير ارضنا عن طريق امريكا على صداقتنا للاتحاد السوفياتي !

- بالاضافة الى كون هذه الدعوة دعوة صريحة وواضحة الى الاستسلام التام لامريكا وما تطرحه وتريد تحقيقه في المنطقة فانه من جهة اخرى عدم شعور وعدم احساس من قبل الكاتب للنتائج التي تركتها الخطوات الامريكية التي قدمت سابقا وكيف عاشتها الجماهير العربية وما عانت منه حركة المقاومة الفلسطينية ابتداء من مشاريع الامم المتحدة مرورا بمشروع روجرز وما جره قبول الانظمة بهذه الخطوة الاستسلامية من مصاعب عاشتها حركة المقاومة في الاردن وما تركته من علامات بارزة على الارض المحتلة وبالذات في منطقة غزة وما اعطته من فرص لاسرائيل لتوطيد كيانها داخل الارض المحتلة . اليست كل هذه المواقف هي ما تريده الحلول الامريكية ؟ والان نجدد هذا الطلب . فماذا تبقى لهذه الحلول غير اعلان الاستسلام والقبول به .. وما كتاباتك الاخيرة الا وسيلة من اجل اشاعة جو عدم القدرة وعدم الاستطاعة وعدم البقاء في مثل هذه الاوضاع والخروج من هذه الاحوال الى الطريق الامريكي .

ويقف احسان في مقالاته الاخيرة موقفا ، يبدو في اوضح صوره التضليلية ، وذلك امام موضوعة اليمين واليسار وكون هذا اليسار هذه الايسام غير موجود في مصر وان كلمة اليمين واليسار كلمة مبتذلة موجودة الان وفقط في الشيوعية والراسمالية . وموقف احسان هنا هو موقف ينسجم في مضمونه مع التيار المنادي بشكل او بآخر الى نسيان القضية الوطنية والدوافع الاجتماعية التي نخوض الجماهير النضال من اجلها وتهدف نفس هذه الجماهير الى الوصول لها عن طريق تحريك التناقض الداخلي دائما لمصلحة بقاء الصراع عنصرا من عناصر بقاء القضية الوطنية وعدم اعطاء المجال للتيارات المستسلمة والانهزامية لان تصبح امرا واقعا ومفروضا من قبل امثال احسان وغير احسان . وهذا التصنيف الاخير الذي اتحفنا به الاستاذ احسان وكون اليمين واليسار لا يوجدان الا في « الشيوعية » والراسمالية كلام مفضوح وطرح فاشل ويهدف احسان من ورائه فقط الى اخراج الشعب المصري العربي من دائرة الصراع العالمي المحكومة بالتناقض الاساسي بين الاشتراكية والراسمالية . وهنا فكونه يرفض هذا الواقع الموضوعي والملموس في العالم فانه يهدف من وراء هذا ويحاول ان يؤكد ان مصر خارج هذا الصراع ، ليقول ان مصر هي « قوة ثالثة » لها سياساتها النابعة من ذاتها وتقاليدها وتراثها التاريخي والانساني .. ولا يدري الاستاذ احسان ان هذه النظرية ، اي نظرية القوى الثالثة قد سقطت كل موضوعاتها ولم يعد هناك اي مثال تاريخي ليكون من خلاله الاستاذ احسان قادرا على توضيح الاهداف من المناداة بهذه المبادىء النابعة من نظرية « اقليمية وتعصبية » ليس ما يجسدها من قدرات ذاتية وليفيقها في غنى عن الامتداد الى العالم من اجل تدعيم العلاقات مع القوى الاشتراكية والاممية .

الا ان الاهداف واضحة وبارزة من خلال ما يطرحه عبدالقدوس فهي ليست غير الارتماء في مستنقعات الانهزام والاستسلام ■■

بقلم : ا . خالد